وإن كان القبول فإن كان في الجواب كذلك كذب وتناقض وإلا لم يكن له تعلق بالسؤال وزبدة الجواب أن السماع هناك مقيد والأمر مشتمل على أمرين سماع قوله وقبوله بالعمل فقالوا نمتثل أحدهما دون الآخر ومرجعه إلى القول بالموجب ونظيره يقولون هو أذن قل أذن خير لكم وقيل : المعنى قالوابلسان القال سمعنا وبلسان الحال عصينا أو سمعنا أحكاما قبل وعصينا فنخاف أن نعصي بعد سماع قولك هذا وقيل : سمعنا جواب أسمعوا وعصينا جواب خذوا وقال أبو منصور : إن قولهم عصينا ليس على إثر قولهم سمعنا بل بعد زمان كما في قوله تعالى : ثم توليتم فلا حاجة إلى الدفع بما ذكر وأنت تعلم أنه لا حاجة إلى جميع ذلك بعدما سمعت كما لا يخفى .

وأشربوا في قلوبهم العجل عطف على قالوا أو مستأنف أو حال بتقدير قد أو بدونه والعامل قالوا والأشرابمخالطة المائع الجامد وتوسع فيه حتى صار في اللونين ومنه بياض مشرب بحمرة والكلام على حذف مضاف أي حب العجل وجوز أن يكون العجل مجازا عن صورته فلا يحتاج إلى الحذف وذكرالقلوبلبيان مكان الأشراب وذكر المحل المتعين يفيد مبالغة في الإثبات والمعنى داخلهم حب العجل ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما داخل الصبغ الثوب وأنشدوا إذا ما القلب أشرب حب شيء فلا تأمل له عنه إنصرافا وقيل : أشربوامن أشربت البعير إذا شددت في عنقه حبلا كأن العجل شد في قلوبهم لشغفهم به وقيل : من الشراب ومن عادتهم أنهم إذا عبروا عن مخامرة حب أو بغض إستعاروا له أسم الشراب إذ هو أبلغ منساغ في البدن ولذا قال الأطباء : الماء مطيةالأغذية والأدوية ومركبها الذي تسافر به إلى أقطار البدن وقال الشاعر : تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور وقيل : من الشرب حقيقة وذلك أن السدي نقل أن موسى عليه السلام برد العجل بالمبرد ورماه في الماء وقال لهم أشربوا فشربوا جميعهم فمن كان يحب العجل خرجت برادته على شفتيه ولا يخفى أن قوله تعالى : في قلوبهم يبعد هذا القول جدا على أن ما قص ا تعالى لنا في كتابه عما فعل موسى عليه السلام بالعجل يبعد ظاهر هذه الرواية أيضا وبناءأشربواللمفعول يدل على أن ذلك فعل بهم ولا فاعل سواه تعالى وقالت المعتزلة : هو على حد قول القائل أنسيت كذاولم يرد أن غيره فعل ذلك به وإنما المراد نسيت وأن الفاعل من زين ذلك عندهم ودعاهم إليه كالسامري بكفرهم أي بسبب كفرهم لأنهم كانوا مجسمة يجوزون أن يكون جسم من الأجسام إلها أو حلولية يجوزون حلوله فيه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم يروا جسما أعجب منه فتمكن في قلوبهم ماسول لهم وثعبان العصا كان لا يبقى زمانا ممتدا ولا يبعد من أولئك أن يعتقدوا عجلا صنعوه على هيئة

البهائم إلها وإن شاهدوا ما شاهدوا من موسى عليه السلام لما ترى من عبدة الأصنام الذين كان أكثرهم أعقل من كثير من بني إسرائيل وقيل : الباء بمعنى مع أي مصحوبا بكفرهم فيكون ذلك كفرا على كفر .

قل بئسما يأمركم به إيمانكم أي بما أنزل عليكم من التوراة حسبما تدعون وإسناد الأمر إلى الإيمان وإضافته إلى ضميرهم للتهكم كما في قوله تعالى : أصلاتك تأمرك والمخصوص بالذم محذوفأي قتل الأنبياءوكذا وكذا وجوز أن يكون المخصوص مخصوصا بقولهم : عصينا أمرك وأراه على القرب بعيدا .

إن كنتم مؤمنين 39 قدح في دعواهم الإيمان بالتوراة وإبطال لها وجواب الشرط ما فهم من قوله تعالى :